Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رؤى
2

هوامش هاملت

قراءة نقدية فى هوامش ترجمة النص إلى العربية

د. محمد مدنى

دار الهدى للنشر والتوزيع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هوامش هاملت

قراءة نقدية فى حواشى ترجمات النص إلى العربية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتاب: هوامش هاملت

قراءة نقدية في حواشي ترجمات النص إلى العربية

المؤلف: د. محمد مدني

لوحة الغلاف: الليل .. ماكس بيكمان

الناشر: دار الهدى للنشر والتوزيع

طباعة: دار القبس للطباعة وفصل الألوان

رقـــم الإيداع: 2001/3574

الترقيم الدولي: 60 ـ 55 ـ 5822 ـ 977

جميع الحقوق محفوظة للناشر

المنيا ـ 5 ميدان الساعة – ص ب 4 عمومي

ت 0123454568 - 086/377034

فاكس 086/346713

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هوامش هاملت

قراءة نقدية في حواشي ترجمات النص إلى العربية

د. محمد مدني

دار الهدى للنشر والتوزيع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إهـــــداء

إلى "مي"

وهي تتصفح

بعينين صافيتين عالم شكسبير..

وإلى ..

المؤمنين بمغامرة البحث وجديته،

والباحثين عن الحقيقة بلا ميل أو هوى،

والذين يسمون بجلال العقل الناقد فوق الأنساق الصارمة للتصنيف،

والقادرين على تأمل النص الأدبي بوعي لا يفتقر للتذوق،

إليهم أرفع اعترافاً بالجميل،

وأخطو خطوة من خطوات التقرب

محمد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مُقدمة

تسعى هذه الدراسة إلى مغامرة القراءة النقدية لظاهرة "الهوامش" أو "الحواشي" التي قد يستخدمها المترجم في حقل الترجمة الأدبية، بوصفها أداة فنية ووسيلة منهجية تساعده في إنتاج ترجمته للنص الأدبي الأجنبي على أفضل صورة ممكنة، وتسهم في تهيئة هذا النص المُترجَم للتلقي المناسب في البيئة الثقافية الجديدة.

وربما تكشف الدراسة عن جزء من مسارها التنظيمي بداية من العنوان، حيث تخيرت هوامش ترجمات "هاملت" إلى العربية جانباً تطبيقياً لها؛ بمعنى أنها ستتعامل مع الهوامش الموجودة في ترجمات النص الأدبي بعدما نُقل من لغته الأصل – الإنجليزية – إلى اللغة العربية – الأم – بالنسبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمترجم. ولا يعني هـذا أن الدراسـة تغفل إمكانيـة وجـود حواشـي شبيهـة ومماثلة قد يستخدمها المـترجم إذا مـا أراد أن يعكـس مسـار الترجمـة، ذلـك حين يترجم نصوصاً أدبية من لغته الأم إلي لغة أجنبية أخرى يتقنها، حيـث تمثل الهوامش في كل مسار من مسارات الترجمة واحداً من وجهي العملة.

وقـد حـاولت الدراسـة في إطارهـا "النظـري" – الـذي كـان يطمـح للنظريـة فلـم ينـج مـن التنظـير – أن تحـدد مبدئيـاً طبيعـة هـذه الهوامـش وخصائصها الفنية والمنهجية، وتنوعها في إطار ترجمة النص وصياغته، كمـا حاولت أن توضح مجموعة الوظائف المنوطة بهذه الهوامش، ودورها اللغوي، والفني، والثقافي، والمعرفي، في خدمة النص المترجم. ودوافع استخدام المـترجم لهذه الهوامش، ومبررات لجوئه لها. كما حاولت الدراسة – من منظورهـا – أن تبيّن الأداء المنهجي المناسب في القراءة النقدية لهذه الهوامـش علـى هـدي من طبيعتها، ووظائفها المتنوعة بتنـوع الهوامـش مـا بـين هوامـش تفسـيرية شارحة، أو تأويلية، أو لغوية، إلى هوامـش تاريخيـة، أو أسـطورية..، ومـا تقدمه كل هذه الأنواع من وظائف متباينة، تدور كلها في فلك العلاقات الفنية المختلفة التي تقوم بين متن النص المترجم والنـص الأصلـي، والـتي لا تنفصـل بحال من الأحوال عن فلك القضايا الموضوعية التي يطرحها النص.

وقد تخيّرت الدراسة زاوية محددة – ومؤقتة – في تناولهـا النقـدي لهذه الظاهرة، تمثلت في محاولة الكشف عن طبيعة التباينات أو المتشـابهات التي يمكن إدراكها بين الهوامش المدونة في ترجمتين مختلفتين – أو أكثر من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ترجمتين - لنص أدبي واحد، و تحليل وتفسير هذه التباينات أو المتشابهات، بشرط أن تكون الترجمات قد صدرت في لغة وثقافة واحدة، وعن مترجمين مختلفين، بصرف النظر عن تحديد الفارق التاريخي بين الترجمات، وذلك مما سوف يثمر عن اختلاف في الرؤى ومناهج الترجمة بالطبع. وهي اشتراطات تسعى للوصول إلى نتائج أكثر موضوعية بما يمكننا من الاطمئنان إليها قدر المستطاع في بحث الظاهرة.

وقد تخيرت الدراسة في إطارها التطبيقي واحدة من مسرحيات وليم شكسبير هي مسرحية "مأساة هاملت، أمير الدنمارك"، وذلك لأسباب عدة أوضحتها الدراسة في تفاصيلها، لعلنا نذكر منها شهرة النص ومستواه الفني الرفيع الذي لا يدانيه شك مهما اختلفنا في تفسير العمل، وإن نظر هذا النوع من الدراسات إلى الاختلاف بوصفه أمراً محموداً ومرغوباً فيه. ولكن أحد أهم أسباب اختيار هذا العمل يرجع إلى طبيعة النص ذاته، وما يمكن أن يحتمله من هوامش ليس في حال ترجمته فقط، بل حتى في حدود النص الأصلي عبر مختلف طبعاته المحققة المعاصرة. ومما لاشك فيه أن اختيار التطبيق على "هاملت" كان مغامرة على كافة المستويات على نحو ما ستكشف عنه الدراسة.

وقد جاءت معالجة الإطار التطبيقي للدراسة في مجموعة من المحاور التحليلية هي: ترجمات هاملت إلى العربية، والدوافع المنهجية لأسباب اختيار الباحث للعينات النصية المترجمة، ثم محور تحليل هوامش المقدمات التي يقدمها المترجم لتسبق متن الترجمة، ثم هوامش الإشارات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولاً: الإطار النظرى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسطورية، يليه محور هوامش الإشارات الدينية، ثم هوامش اللغة والتلاعب اللفظي. وأخيراً هوامش الرؤية النقدية التي ينطلق منها المترجم.

وإذا كانت الدراسة قد كشفت عن مجموعة من النتائج تسهم جميعها في سبر أغوار العلاقات المتشابكة حول مادة "الأدب"، والقائمة بين حقول مثل الترجمة الأدبية والنقد الأدبي والأدب المقارن، فإن الدراسة تعمل على هدفين أساسين تجتمع هذه الحقول عليهما؛ أولهما محاولة فهم العمل الأدبي المترجم عبر قنوات جديدة لم يتطرق لها النقاد من قبل، ثانيهما محاولة وضع تصور تأسيسي منهجي لهذا النوع غير المألوف من الدراسات الإنسانية المتداخلة التي قد تتوغل وتتمحور - في إطارها التطبيقي - داخل نقطة صغيرة محددة، لكنها تتعامل معها من منظور أكثر اتساعاً وشمولاً، وربما يتوسع المنظور حتى يشمل الثقافات المقارنة إن لزم الأمر!.

والباحث إن ادعى لدراسته شرف حداثة المحاولة ومغامرتها، وطموحها في التجريب النقدي، وإن ظن تمسكه بالمنهجية في حقل الإنسانيات المربك والمجهد، فهو لا يدعي شرف اكتشاف الأرض الجديدة التي مازال يرنو إليها.

والله ولي التوفيق ،،

محمد مدني

المنيا في أول مايو 2001م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هوامش الترجمة الأدبية

(1)

يستعين مترجم النصوص الأدبية في كثير من عمله ببعض الحواشي التفسيرية، أو الهوامش المرجعية الموثقة، التي يدونها بنفسه حول بعض ما يراه غامضاً من ألفاظ وتعبيرات، أو أفكار ومعتقدات، وما هو غير معروف من شخصيات وأماكن وأحداث وردت في متن النص الذي يترجمه. ودوافع لجوء المترجم لمثل هذه الهوامش كثيرة ومتباينة، وإن كانت لا تخرج في مجملها عن رؤية المترجم للنص الأدبي الذي يرغب في ترجمته، وتصوره له في سياقاته الثقافية والتاريخية المغايرة والجديدة التي ينقله لها؛ حيث يدرك المترجم – بما يمتلكه من وعي بالعمل الأدبي، وإجادة لعملية الترجمة بكل أبعادها اللغوية والثقافية في البيئتين اللتين يتم بينهما تداول هذا العمل – أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

محاولة نقل بعض الألفاظ والتعبيرات والأفكار والمفاهيم والمعتقدات، أو محاولة التعريف بالشخصيات والأماكن والأحداث التي وردت في النص، وتفسيرها داخل متن الترجمة للمتلقي في البيئة الجديدة بما يتناسب وأهميتها ومجال تأثيرها في العمل الأدبي، على النحو المتاح له والمسموح به في متن النص المترجم بما لا يتعارض والنص الأصلي، قد لا يزيل غموضها، ولا يعرفها أو يفسرها للمتلقي بالدرجة المطلوبة. عندئذ يسعى المترجم إلى تحقيق ذلك بمنأى عن متن النص ذاته، ودون انفصال تام عنه، مستخدماً في ذلك وسيلة الهوامش الملحقة بمتن الترجمة.

وقد يلجأ المترجم للهامش حين يري أن ترجمته في بعض مواضع النص اكتفت بصياغة المستوى الدلالي المباشر للفظ أو التعبير، دون أن تتعداه إلى مستوى السياق الثقافي الذي يحمله هذا التعبير أو ذاك التركيب اللغوي. ودافع المترجم في ذلك الاكتفاء هو توخيه الأمانة، وحرصه على عدم تحميل متن النص بما لا يحتمل من إضافات، نظراً لما يكتنف محاولة ترجمة السياق الثقافي من صعوبات ومزالق قد تخرج أحياناً بنص الترجمة عن حدود النص الأصلي. عندئذ يسعى المترجم إلي استخدام الحاشية لتوضيح وتفسير السياق الثقافي الذي لم يتمكن من تفسيره تفسيراً كاملاً عبر المتن.

وقد تتمثل بعض احتياجات المترجم للهوامش في أهمية إلقاء الضوء على بعض الإشارات الفنية أو الاجتماعية أو التاريخية أو الأسطورية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعقائدية التي وردت في المتن، وهي غير معروفة في ثقافة المتلقي، ولا يمكن تغافلها لما لها من تأثير على تلقي العمل الأدبي وفهم أبعاده المختلفة، وهنا يمكن للمترجم أن يستخدم الهامش لتقديم المعلومات الوافية الموثقة عن هذه الإشارات ودورها الفني في النص كي تحقق تأثيرها المطلوب على المتلقي في الثقافة الجديدة.

وإذا كان السياق التاريخي الذي أنتج فيه النص وما يستتبع هذا السياق من متغيرات سوف يفرض على المترجم أن يستعين أحياناً بالهوامش لكي يحقق لترجمته درجة التوافق المطلوبة بين سياقين تاريخيين مختلفين؛ السياق القائم في النص، والسياق القائم في مرحلة ترجمة النص، فإن مختلف السياقات الأخرى المصاحبة للنص سواء أكانت لغوية أم ثقافية أم سياسية واجتماعية ودينية ..، وما يتبعها من متغيرات، سوف تفرض بالتالي حاجاتها المختلفة على المترجم لكي يلجأ للهامش حتى يوضح للمتلقي ما يمكن أن يعتري النص المترجم من متغيرات ترجع للمفارقات والتباينات السياقية المتعددة التي ستنشأ ما بين هذا النص المترجم والنص الأصلي.

وقد يلجأ بعض المترجمين – وبخاصة النقاد منهم – إلى الهامش حينما يعنّ لهم أن يقدموا رؤية نقدية، أو تأويلاً فنياً مغايراً للترجمات السابقة على ترجمتهم، لاسيما لو تعارضت هذه الرؤية أو ذاك التأويل النقدي وسياقات النص التخيلية Co-text، بجوار السياقات المحيطة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأخرى Context. عندئذ قد يفرد المترجم هامشاً مستقلاً لتوضيح ذلك وإن كانت نسبة هذا النوع من الهوامش قليلة، وتكاد تكون موقوفة على فئة المترجمين/النقاد.

وهناك بعض الإحالات الهامشية التي يشير فيها المترجم إلى حدوث حذفٍ أو قطعٍ قصدي من متن النص الأصلي،أو تحوير وتعديل تم بمعرفته في ذلك الموضع أو ذاك، وغالباً ما يرجع سبب الحذف أو التعديل والتحوير إلى عوامل قيمية أو أخلاقية أو دينية أو سياسية، إلخ. وعلى الرغم من كراهيتنا لمثل هذه الحالات لما قد يسببه الحذف أو التحوير – غالباً – من خلل فني في سياق العمل وبنائه، ويؤثر على إحساسنا به وفهمنا له، وما قد يسببه الحذف أو القطع من عيوب في الترجمة بما يؤثر على تلقيها، إلا أنه وجب الإشارة لمثل هذا النوع من الهوامش غير المرغوب فيه.

ولا يفترض أن جميع الهوامش المستخدمة في الترجمة يجب أن تكشف عن براعة المترجم، ووعيه بالترجمة وتمرسه بها، أو تكشف عن رؤيته النقدية. كما أنه ليس معقولاً أن تكون قدرات المترجمين ومواهبهم وفهمهم أو تفسيرهم للنص المترجم على درجة واحدة ومستوى مماثل! ومن ثم يمكن النظر إلى تباينات الهوامش من هذا المنظور أيضاً؛ فقد تتمثل بعض احتياجات المترجم لهذه الحواشي أحياناً نتيجة لشعوره بالعجز عن إيجاد التعبير المطابق في اللغة التي يترجم إليها لشفرة أدبية ما وفدت مع النص الأصلي "الأجنبي"؛ ومن ثم قد يمثل الهامش مخرجا مهذبا لهذا الصنف غير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتمرس على النحو المطلوب من المترجمين. وقد لا يكون الفشل في تحقيق التطابق اللفظي أو التفسير النصي للشفرة الوافدة في الترجمة دائما بسبب فقر لغة عن استيعاب نتاج لغة أخرى، أو بسبب قصور تراث أدبي في التعبير عن تراث أدبي آخر، بل ربما كان الثراء أو التنوع والغنى في اللغة المستقبلة من الدوافع الرئيسة وراء هذا الفشل. وفي الحالتين – وفرة البدائل أو فقرها – ستصبح المسألة من الأسباب التي تربك المترجم غير المخضرم.

مع كل هذه الحالات وغيرها، وفي ظل تنوع الحيثيات، ستظل ترجمة النصوص الأدبية في حاجة ماسة إلى تدخل المترجم بحواشيه وهوامشه، ليقدم شيئاً من التفسير والشرح، أو التعريف والإيضاح، أو المرجعية الثقافية، حتى تستقيم الترجمة، وتتلاشى منها كل مواطن الغموض، وتصل إلى أقصى درجة ممكنة من التطابق اللغوي والتفسير الثقافي معاً، ويصبح النص بكل سياقاته في نهاية الأمر صالحاً للتلقي.

ومن الطبيعي ألا تكتنف النص الأدبي حين يقدم في سياقه الزمني أو التاريخي وبيئته الأصلية – مهما كانت درجة غموضه الفني – هذه الدرجة من الغموض – غير الفني بالطبع – التي قد يحملها أحياناً عندما ينقل إلى لغة وثقافة أخرى مغايرة؛ ذلك أن المؤلف الأصلي يعايش ثقافته بوصفه جزءاً منها، ومن ثم فهو يدرك طبيعتها جيداً، ويعرف كيف يقدم خطابه الأدبي إليها، مهما حمّله من شفرات لها دلالاتها اللغوية والفنية والثقافية. كما أن النص الأدبي في مجمله ابن بيئته ونتاج لثقافته، لذا فهو لن يقع في دائرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القطيعة المعرفية داخل إطار ثقافته بالصورة ذاتها التي قد يعانيها حينما ينقل إلى ثقافة مغايرة، ذلك ما لم ينجح المترجم في تهيئة النص الذي ينقله للتلقي الملائم في هذه الثقافة الجديدة. وكثيراً ما تكون "هوامش الترجمة" إحدى أدواته الفاعلة في تلك التهيئة الثقافية، حيث تلعب دور المفتاح السحري لتحقيق ذلك "التوافق الفني" و "التوافق الثقافي" دون المساس بمتن النص.

لكن هناك بعض النصوص الأدبية التي امتد بها الأمد فصنع فارقاً زمنيا كبيراً ما بين تاريخ كتابتها للمرة الأولى كما قدمها مؤلفها، وتواريخ إعادة نشرها مرة تلو أخرى عبر هذا الزمن في بيئتها المنتجة لها، ومن ثم فإن هذا الفارق الزمني سيصنع نوعاً من الغربة بين النص الأصلي (القديم) وقارئه المعاصر في البيئة ذاتها، وذلك في ظل تطور اللغة المستخدمة في هذه البيئة، وما يطرأ عليها من تحديث ومتغيرات. وفي ظل تطور المعطيات الثقافية والاجتماعية التي شكلت جزءً كبيراً من صناعة النص، واختلافها ما بين وقت كتابة النص ونشره للمرة الأولى ثم المرات التالية المتعاقبة عبر المراحل التاريخية. وهنا سنجد أن كثيراً من الطبعات المختلفة التالية لطباعة النص الأصلي ستضيف إلى هذا النص بعض الإضافات الهامشية التي ستشرح للقارئ الجديد ما طرأ عيه من متغيرات. وتبعاً لهذه المتغيرات وقوة آثارها على تلقي النص ستتغير طبيعة الإضافات وشكلها. وهذا يحدث في مختلف اللغات العالمية والثقافات التي خلفت تراثاً أدبياً خالداً؛ فلا يمكن أن نتخيل مثلاً المعلقات الشعرية العربية التي صدرت في عصر ما قبل الإسلام وهي تقدم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للقارئ العربي المعاصر بلا شروح هامشية لبعض المفردات التي وردت في هذه المعلقات وصارت عبر البعد التاريخي مهجورة الآن. ولا يمكن في المقابل أن نتخيل الأعمال الدرامية اليونانية القديمة التي صدرت في العصر الذهبي لتلك الحضارة وهي تصدر اليوم بلا هوامش تفسيرية شارحة لبعض ما ورد في هذه النصوص المسرحية من تعبيرات وأفكار. وبالقياس لا يمكن أن نتخيل مسرحيات وليم شكسبير وهي تصدر للقارئ الإنجليزي المعاصر في مختلف الدول الناطقة بالإنجليزية – بدون إضافات توضيحية تفسر له بعض المفردات والتعبيرات القديمة التي كانت تستخدم في اللغة الإنجليزية وقتذاك.

وقد تتباين أشكال ومستويات هذه الإضافات التي تلحق بصورة العمل الأصلي (القديم) عند طبعه في صورته المعاصرة، فقد تكون مجرد هوامش تفسيرية وتوضيحية معاصرة ملحقة بذيل النص القديم، بغرض شرح أو تفسير أو تحديث بعض الكلمات والتراكيب الواردة، والتي طرأ عليها تغيير يستوجب الإشارة لما آلت إليه قياسا بالشكل الذي وردت عليه آنفا في النص القديم. وقد تتمثل هذه الإضافات أحيانا في صورة تعديلات كاملة موازية، أوفي صورة نص جديد مكتوب باللغة الأدبية المعاصرة يدرج في الصفحة المقابلة للنص الأصلي في صورته القديمة. ولعل كافة أعمال وليم شكسبير في طبعاتها الإنجليزية المعاصرة والمتعددة أحد أهم النماذج الدالة على هذين الشكلين من الإضافات[1].

(1) سوف نكشف عن بعض أشكال هذا التفاوت في الإصدارات الجديدة لمسرح وليم شكسبير من خلال استعراضنا لبعض نماذج الطبعات الإنجليزية المتباينة لمسرحية "هاملت" التي سنستعين بها في الجانب التطبيقي من الدراسة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومما لاشك فيه أن أي مترجم لهذه النصوص الأدبية القديمة سوف يستفيد من مجموع هذه الحواشي الملحقة على هامش متن النص الأصلي حينما يفكر في نقل هذا النص العتيق إلى لغة أخرى غير لغته الأصلية. وسوف يمثل هذا النوع من الهوامش والحواشي الإضافية الملحقة بالنص الأصلي بعض – وليس كل – الهوامش التي ستشملها ترجمة النص في اللغات الأخرى. وهذا مرهون برؤية المترجم، وخاضع لما سوف يجريه من تغييرات لغوية وثقافية يراها متماشية وترجمة النص، فقد يمكنه أن يقدم بعضاً من هذه الإضافات مباشرة في متن النص المترجم، وقد يضطر إلى إحالة بعضها لهامش جديد بصياغة جديدة، أو يضيفها إلى ما سوف يدونه من هوامش أخرى جديدة تتطلبها اللغة والثقافة التي يترجم لها.

ومن المألوف أن تتفاوت درجات الاستعانة بمثل هذه الشروح والهوامش والتعليقات داخل النص الأدبي المترجم، وأن تتنوع مستويات توظيفها تبعاً لطبيعة النص ومكوناته، وتماشياً مع ما قد يثيره النص من قضايا فنية وموضوعية في ذاته، ثم ما قد يثيره النص ذاته من قضايا شبيهة أو مغايرة بالنسبة للبيئة الجديدة التي يترجم إليها. فقد يثير النص المترجم في بيئة التلقي الجديدة قضايا مختلفة لم يكن قد أثارها في بيئته الأصلية. كما أن هذه الهوامش سوف تتباين بالضرورة من مترجم إلى آخر في إطار اللغة الواحدة تبعاً لتفسير المترجم للنص الأدبي الذي سيترجمه، وتبعاً لرؤيته الذاتية في كيفية تحقيق التواصل بين المتلقي الجديد وهذا النص. وقد تختلف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهوامش أيضاً تبعاً للجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص المترجم من شعر أو نثر، قصة أو رواية أو مسرحية؛ فقد تتغير نسب وجود هذه الهوامش وأنواعها ومستويات توظيفها لخدمة النص المترجم من جنس أدبي إلى جنس آخر، فما قد تحتمله ترجمة الرواية من هوامش قد لا تحتمله القصة القصيرة أو القصيدة الشعرية، وما تستوجبه المسرحية منها قد لا تشترطه القصيدة..وهكذا.

كذلك ستختلف نسب تواجد هذه الهوامش، وتتباين فعالياتها من ترجمة نص أدبي إلى ترجمة نص آخر، وإن انتمى النصان إلى جنس أدبي واحد، أو صدرا عن مؤلف واحد، فليس كل ما تتطلبه مسرحية بعينها من هوامش قد تتطلبه مثيلاتها من المسرحيات الأخرى، ولا يمكن أن تتطلب قصيدتان – وإن كانتا لشاعر واحد وفي ديوان واحد – نسبة واحدة أو متقاربة من الحواشي عند ترجمتهما من قبل مترجم بعينه.

وقد تحدث هذه التباينات بصورة منطقية ومتوقعة عندما تتم ترجمة نص أدبي واحد أكثر من مرة في اللغة الواحدة، بسبب ما قد يحققه هذا النص من الشهرة والصيت؛ حيث إن تعدد الترجمات للأثر الأدبي الواحد في اللغة الواحدة – سواء أتمت هذه الترجمات على فترات تاريخية متباعدة أم متقاربة – سوف تصنع تعدداً في هوامش كل ترجمة تصدر لهذا الأثر، وسوف تتباين فعاليات هذه الهوامش لغويا وفنيا وثقافيا، بتعدد المترجمين وتباين ثقافتهم الخاصة، وتفاوت قدراتهم في إطار التعامل مع هذه اللغة التي سوف يترجم عنها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بل من المؤكد إن هذه الهوامش سوف تتباين وستختلف نسب تواجدها، ونوعيتها وطبيعتها، نتيجة لتباين الطبعات التي سيلجأ إليها كل مترجم، واختلاف طبعة عن أخرى، ومدى ما تحمله كل طبعة من تفاوت في نوعية الهوامش التي حملتها قياساً بالطبعات الأخرى للنص ذاته. ولعل تعدد طبعات مسرحيات وليم شكسبير في اللغة الإنجليزية واختلاف طريقة تعامل كل طبعة مع النص الأصلي، والاختلافات الفنية والموضوعية في رؤى النقاد الذين يقدمون لهذه الطبعات، وما ينتج عن هذه الاختلافات ..كل هذا سوف يمثل أحد العوامل المؤثرة في وقوع بعض الاختلافات الشبيهة التي يمكن أن نجدها عندما تترجم هذه المسرحيات - باختلاف طبعاتها - إلى لغات عالمية مختلفة، أكثر من مرة[2]. وهذا التباين الأخير هو ما ستسعى تلك الدراسة إلى تحليله عبر بعض نماذج ترجمات "هاملت" إلى العربية، على نحو ما ستوضح الدراسة في إطارها التطبيقي.

---

(2) تمثل مسرحيات وليم شكسبير ظاهرة فريدة في هذا الشأن، حيث نجد أن المسرحية الواحدة تترجم في اللغة والثقافة الواحدة إلى عدد هائل من الترجمات التي لم يحظ أي نص أدبي أو كتاب آخر بهذا الكم ، ناهيك عن الدراسات المتباينة التي تقوم حول هذه الأعمال المسرحية وترجماتها. ويكفي أن نشير لدراسة واحدة أجريت على ترجمات ست لمسرحية هاملت في الفرنسية في إطار جماليات الترجمة ومستوياتها، لندرك أبعاد هذه الظاهرة. راجع:

R. Heylen: Translation, Poetics and the Stage: Six French Hamlets. London, 1993.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الطبيعي أن تُنسب بعض مصادر الاختلاف في كثير من هذه الحالات إلى الفترةِ التاريخية التي أنتج فيها النص الأدبي، وإلى طبيعةِ اللغة المستخدمة وقتذاك، والتكوين الثقافي والفكري الخاص بالمؤلف من ناحية، وإلى الثقافة العامة والأفكار السائدة خلال تلك الفترة في بيئة النص الأصلي من ناحية ثانية، ثم اختلاف كل ذلك من ناحية ثالثة بالنسبة للمترجم، وأثر هذه المتغيرات ذاتها عليه حينما يقدم على ترجمة النص. أي أن الاختلافات التي يمكن أن نلمسها في هوامش الترجمة مسالة متبادلة ما بين النص الأصلي وسياقاته من ناحية، والنص المترجم وسياقاته من ناحية أخرى. ولئن أردنا أن نمثل لذلك مرة أخرى من الأدب الإنجليزي سنجد ترجمات أعمال الكاتب المسرحي "وليم شكسبير" إلى العربية تختلف اختلافاً بيناً من حيث طبيعة اللغة والمركب الثقافي والإطار الحضاري عن ترجمة أعمال كاتب مسرحي آخر مثل "جون آردن" أو "بيتر بروك" مثلاً. مثلما ستختلف بالضرورة ترجمة راوية لـ "تشارلز ديكنز" من حيث اللغة والمركب الثقافي وطبيعة البناء الفني عن ترجمة لرواية أخرى للكاتب "د.هـ. لورانس" أو "جون فاولز".وإن جاءت كل الأعمال باللغة الإنجليزية. وعلى الجانب الآخر ستلعب كل من ثقافة المترجم الذاتية، ودوافعه لترجمة هذا العمل أو ذاك، ومنهجه المتبع في الترجمة، وطبيعة رؤيته الفنية للنص ومدى فهمه أو تفسيره له، ولغته الفنية وخصائصه الأسلوبية التي تميز كتاباته عن غيره، وثقافة عصره بعامة.. يضاف إلى ذلك التأثيرات الناتجة عن الطبعات المختلفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لهذه الأعمال وتاريخها واعتماد المترجم على أي منها..كل هذه المؤثرات ومـا بينها من ارتباطات قوية متداخلـة سـوف تلعـب دورهـا الخـاص والفعـال في إحداث تباينات عند ترجمة العمل الأدبي الواحد في اللغة الواحـدة أكـثر مـن مرة[3]. ولعل هذا يفسر لنا من جانب آخر لماذا تختلف ترجمة خليـل مطـران لعمل من أعمال شكسبير عـن ترجمـة كـل مـن جـبرا إبراهيـم جـبرا ونعمـان

(3) من الدراسات العربية المبكرة في هـذا المجـال دراسـة للدكتـورة لطيفـة الزيـات، عـن التباينات الواقعة في الترجمات العربية لمسرحية ماكبث. حيث قامت في هذه الدراسـة الموجزة بتحليل مبدئي سريع لطبيعـة الاختلافـات القائمـة بـين ترجمـات مـاكبث في العربية، وكان عدد الترجمات للمسرحية وقتذاك ترجمات أربـع جميعـها نشـرت مـا بين عام 1900م وعام 1932 م. للمزيد راجع :د.لطيفة الزيات: "ماكبث في الترجمـات المختلفة" مجلة المسرح، القاهرة ، العدد الرابع، إبريل 1964م، ص25-31.

كما سبق أن أشار كذلك د. محمـد عنـاني في واحـدة مـن دراسـاته العديـدة الجـادة إلى طبيعة الاختلافات الفنية، واللغوية، والثقافية، الـتي تقـع بـين الترجمـات المختلفـة لنص مسـرحي واحـد في لغـة واحـدة، وذلـك نتيجـة لتباينـات المـترجمين ووعيـهم، والاختيارات المتاحة أمامهم في انتقاء نمط اللغـة المناسـب للتعبـير عـن طبيعـة النـص والشخصيات. ومستوى هذه اللغـة ، وطبيعـة القـاموس اللغـوي، ومؤثـرات التكويـن البلاغي والفني الفارق لكل مترجم دون الآخـر ..، للمزيـد راجـع د. محمـد عنـاني: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشـر – لونجمـان، القاهرة ، 1997م،ص 263-249

وقد عاد مناقشا الفكرة ذاتها مرة ثانية ومطبقاً لها على مجموعة أخـرى مـن النصـوص الأدبية متنوعة الترجمات، وذلك في أحدث دراسة صدرت له بالإنجليزية

See: M.M. Enani: On Translating Arabic A Cultural approach. G.E.B O, Cairo, 2000.pp191-225.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاشور ومحمد عناني للعمل نفسه؟ ولماذا تختلف ترجمة مطران لعمل آخر من أعمال شكسبير عن ترجمة سامي الجريديني وترجمة جبرا وترجمة عبد القادر القط للعمل ذاته؟ ولماذا تختلف ترجمة محمد فريد أبو حديد عن ترجمة عبد القادر القط أو سمير سرحان لعمل واحد آخر..وهكذا.

ناهيك عن متغيرات أخرى بعضها يختص بالنص وقضاياه الفنية مثل نمط اللغة التي ينقل إليها، أهي اللغة الرسمية أم الدارجة؟ القاموسية أم التداولية ؟ وكذلك اللغة التي نقل عنها المُترجم هذا النص، هل هي اللغة الأصلية للنص؟ أم هي لغة وسيطة؟. أما بالنسبة للقضايا الإنسانية التي قد يثيرها العمل وما تتضمنه من متغيرات مثل تناظرها وتوحدها أو غيابها بالنسبة للبيئة التي يترجم لها، ومدى احتياج المتلقي لنوعية القضايا المثارة في النص، وتفاعله معها، وغير ذلك من متغيرات فاعلة سيكون لها دورها المؤثر في شكل الترجمة.

حقاً سوف يحاول المترجم الناجح في ترجمته أن يقدم النص – لاسيما لو كان تاريخياً – في إطاره وروحه التاريخيين، وأن تلتزم صياغته للنص بما يتوافق وطبيعة هذا النص والأطر والسياقات المختلفة التي أنتجته، لكنه سوف يكون مضطراً لأن يمنح هذا النص – عبر صياغته اللغوية – من ثقافة وتراث المتلقي الجديد ما يجعل العمل مقبولاً وصالحاً للتلقي، كما أنه سيكون مضطراً لأن تتواصل ترجمته مع ثقافة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العصر الذي يترجم له، وأن يبرز دلالات العمل الفني المتجددة، وأن يتغلب على المعوقات الفنية المختلفة التي ستواجهه في ثنايا الترجمة. وهنا قد يلجأ المترجم - بكثرة - لاستخدام هذه الهوامش التفسيرية والمرجعية.

جملة القول: إن كل هذه التباينات والمتغيرات اللغوية والفنية والثقافية والتاريخية سوف تنعكس على رؤية المترجم، وعلى تصوره للأثر الذي يترجمه، وستنعكس بالضرورة على منهجه في الترجمة، وعلى شكل الترجمة ذاتها، بما فيها هوامش المترجم الشارحة والتفسيرية والتوثيقية التي ستلعب دوراً مهماً في نقل سياق النص من ثقافة إلى أخرى.

إن النظرة المقارنة التي يمكن أن نستعين بها في تعاملنا مع نص واحد له من الشهرة والقيمة ما يدفع المترجمين إلى ترجمته أكثر من ترجمة مختلفة في إطار اللغة الواحدة، وعبر فترات زمنية مختلفة سوف توضح تماماً ما نقصده من تباينات مختلفة بين هذه الترجمات،بما فيها تباينات هوامش المترجم التي يقدمها في ثنايا ترجمته؛ فمثلاً ترجمة "متى بن يونس القنائي" لنص كتاب أرسطوطاليس (في الشعر) التي قدمت إلى العربية في أوائل القرن الرابع الهجري نقلاً عن النص السرياني، ثم ترجمة الدكتور شكري محمد عياد التي قدمها مع منتصف القرن العشرين الميلادي للأثر نفسه عن النص اليوناني، سوف تبين لنا المقارنة بينهما على الفور مدى الفوارق العميقة بين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الترجمتين على أكثر من جانب منها اللغوي، والثقافي، والمعرفي[4] وسندرك بالتالي مدى تأثير كل ترجمة من الترجمتين على الحياة الأدبية والفكرية في العصر الذي أنتجت فيه. مع ضرورة الوعي بكافة الدوافع والمتغيرات اللغوية والأدبية والتاريخية والثقافية المصاحبة لهاتين الترجمتين، وطبيعة الهوامش المستخدمة في كل منهما وفي أي ترجمة أخرى تصدر لهذا العمل.

وإذا كانت تباينات الترجمات المعنية بأثر تاريخي ذاع صيته مثل كتاب "فن الشعر" لأرسطوطاليس قد تمت على هذا النحو من حيث الفهم والشكل والتأثير، وهو في الأصل مؤلف في فلسفة الفن! ، فلعل التباين أولى وأكثر منطقية حينما يقع في الترجمات المعنية بنص أدبي إبداعي خالص يقبل التأويل – بل يشترط في قراءته التأويل – مثلما هو الحال في النص الشعري والروائي والقصصي والمسرحي.

ولئن أردنا أيضاً أن ندلل على الفارق المتوقع بين الترجمات في حقل الإبداع الأدبي فربما يكفي أن نعقد مقارنة أخرى بين الترجمة التي قدمها

---

(4) ناقش الدكتور شكري عياد في التمهيد السابق على ترجمته لهذا الأثر، وفي دراسته التفصيلية الملحقة بنص الترجمة، والتي تمثل القسم الثاني من الكتاب، ناقش بعض هذه الفروق وآثارها الترجمتين، وعلى فهم النص، ومدى تأثيره على البلاغة العربية والحياة الأدبية والثقافية بعامة .. راجع للمزيد:
كتاب أرسطوطاليس في الشعر نقل أبي بشر متى بن يونس القنائي من السرياني إلى العربي، حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية د. شكري محمد عياد، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م. مواضع مختلفة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رفاعة رافع الطهطاوي(1801-1871م) تحت عنوان (مواقع الأفلاك في أخبار تليماك) بوصفها الترجمة الأولى لرواية الكاتب الفرنسي فرانسوا فينلون F. Fénelon ، وعنوانها (Les aventurres de Telemaque) والترجمات الأخرى المختلفة التي صدرت في العربية للرواية ذاتها بعد ترجمة الطهطاوي، مثل ترجمة "عادل زعيتر" وغيرها من ترجمات مختلفة لهذه الرواية، عندئذ سندرك على الفور مدى الفارق اللغوي المعجمي الناجم عن التباين التاريخي بين تلك الترجمات الأدبية المختلفة. كما سندرك طبيعة فهم كل مترجم للنص ورؤيته له ودوافع ترجمته. وسندرك بالتالي مدى اختلافات الهوامش التي سيضطر كل مترجم منهم إلى تدوينها حول النص، بما يضمن له أن ترجمته ستكون أكثر نضجا ووضوحا، وأكثر تماسكا قياسا بغيرها من الترجمات السابقة، وإلا فقدت الترجمة مبرر وجودها.

ومن الطبيعي أن تلعب عوامل أخرى دورها المؤثر في تلك التباينات بجوار المتغير الزمني على نحو ما ذكرنا، مثل الطبيعة الفنية للعمل، ومعيار لأبعاد عملية الترجمة، وآلياتها، والهدف منها، ومنهجه في الترجمة من ناحية ثانية..، لكن أثر مجموع المتغيرات المختلفة التي ستنشأ نتيجة لتباينات وعي المترجم به وبدلالاته الحضارية والجمالية من ناحية، ثم درجة فهمه الفترة التاريخية وانعكاسها على طبيعة اللغة المستخدمة ومفرداتها المعجمية أو قاموسها، والمكونات الثقافية والفكرية السائدة في المجتمع، سيبقى هو الأثر الأكثر مباشرة ووضوحا في مثل هذه الترجمات، والأكثر انعكاسا على هوامش الترجمة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولئن كان العامل التاريخي وتباعد الفترة التي كُتب فيها النص الأدبي، أو الفترة التي تُرجم فيها، وعلاقتها بالمكونات الثقافية وبالقاموس اللغوي السائد في تلك الفترة التاريخية من الأمور المنطقية والحاسمة التي يمكن معها قبول مثل هذه الاختلافات، والوعي بها عبر المتغير الزمني الذي سيترك آثاره على الترجمات المتعاقبة، فإن غياب هذا المتغير – العامل التاريخي – في ظل ثبات النص الأصلي لن يمنع أبداً حدوث مثل هذه التباينات والاختلافات التي قد تقع في هوامش الترجمة، مثلما ستقع بالضرورة في بنية الترجمة ذاتها؛ فربما صدرت هذه التباينات – أو الاتفاقات النسبية الظاهرية في حالة الترجمة عن طبعة واحدة – في الهوامش والحواشي المثبتة بين ترجمتين أو أكثر لنص أدبي واحد تمت ترجمته أكثر من مرة إلى لغة واحدة، وفي فترة زمنية شديدة التقارب، إن لم تكن فترة واحدة، وعن طبعة أصلية وواحدة لهذا العمل.

إن هذه الاختلافات التي ستبدو في هوامش الترجمتين الصادرتين خلال فترة زمنية واحدة ستكون في ظننا نابعة من رؤية المترجم الفنية، ومكوناته الأدبية والثقافية، وقناعاته الفكرية وتوجهاته الإيديولوجية، وفهمه للنص في محيط الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه، ومنهجه في الترجمة. بشرط أن تكون اللغة التي يترجم منها النص هي اللغة الأصلية، لا لغة وسيطة، وهذه الأمور هي الجانب الأكثر أهمية لدينا هنا، إن لم تكن الهدف الرئيس مما نقصده في هذه الدراسة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد تكون هناك بعض الاتفاقات النسبية في طبيعة هذه الهوامش وموضعها في النص وقد تتشابه بعض هذه الهوامش بين أكثر من ترجمة من قبل مترجمين مختلفين في اللغة الواحدة ولكن هذا مشروط بأن تصدر الترجمتان عن طبعة واحدة أو طبعتين تشابهتا إلى حد كبير في طريقة التعامل مع هذه الهوامش أصلاً . لكن حتى هذا الاتفاقات النسبية لن توحد تماماً بين مجموع الهوامش وستظل الاختلافات بين الهوامش في الترجمتين قائمة لأنها مرتبطة برؤية كل مترجم في النهاية.

ومن المألوف أيضاً أن تتباين نوعية الهوامش المثبتة في النص الواحد المترجم أكثر من مرة في لغة واحدة، وخلال فترة زمنية واحدة أو متقاربة، وأن يختلف تصنيفها النوعي ما بين هوامش ذاتية وأخرى موضوعية، ومن هوامش قد تهتم بالجوانب الحضارية، أو التاريخية، إلى أخرى تعنى بالقضايا السياسية أو الجغرافية، وهوامش آخر غيرها سوف تختص بالفروق الدينية، أو الأسطورية، أو الثقافية، أو اللغوية، أو النقدية أو الفلسفية.. إلخ، وذلك حسب معطيات النص ذاته. لكن سيظل الفيصل في وجود هذه الهوامش، ونسبتها، وأنواعها المتباينة دائماً هو المترجم نفسه؛ حيث إن كل ما يتعلق بهذه الهوامش من حيث أنواعها، ودرجات توظيفها، ومعيار صلاحيتها داخل النص، كل هذه التباينات مرهونة في نهاية الأمر بموقف المترجم من النص، ورؤيته المسئولة عما قد يحتاجه العمل المترجم من هوامش وحواشي. وإذا كان المؤلف سيظل دائما هو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صاحب النص ومبدعه في أي لغة يُترجم إليها النص، فإن المترجم – في المقابل – هو صاحب هوامش النص.

وإذا كان علينا أن نعترف بأن أي ترجمة تصدر لأي عمل أدبي لابد وأن تتأثر برؤية مترجمها وأيديولوجيته وثقافته وسماته اللغوية والأسلوبية المميزة له عن غيره، فإننا في المقابل لابد أن نعترف ضمناً بأن هوامش النص الواحد متغيرة دوماً بتعدد الترجمات، وتغيرها مرهون كل مرة بالمترجم وما تمليه عليه الظروف والمكونات الثقافية والاجتماعية واللغوية السائدة في فترة الترجمة. ولئن كانت طبيعة النص وشفراته الفنية وسياقه التاريخي ولغته وقضاياه ذا تأثير على هوامش النص المترجم، فإن رؤية المترجم لهذا النص والبيئة التي ينقل لها النص هما اللتان تحددان مدى احتياج الترجمة لمثل هذه الهوامش أم لا، مهما كانت طبيعة هذا النص، ومهما كان مقدار انتسابه لفترة تاريخية قريبة أم بعيدة، أو ما سيثيره من مسائل فنية أو قضايا خلافية.

ومن الأمور التي يجب مراعاتها عند قراءتنا للترجمات المختلفة للعمل الأدبي الواحد في لغة واحدة، وفي ظل اختلاف الفترات الزمنية التي صدرت فيها هذه الترجمات، أن نعي مقدار استفادة المترجم اللاحق من المترجم السابق، وأن نعي مقدار تجاوز المترجم اللاحق لترجمات سابقيه، ونضج ترجمة الجديدة عن غيرها من ترجمات قديمة. وعلينا أن نعي بالتالي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن نضج الهوامش المستخدمة في الترجمات اللاحقة قياساً بالترجمات السابقة أمر منطقي، سواء ارتفعت نسبة تواجد الهوامش أم اختفت تماماً. ذلك أن منطق صدور الترجمات الجديدة ومبرر وجودها يجب أن تحققه رغبتها في تجاوز أخطاء الترجمات القديمة وتصويب سلبياتها. وبالقدر ذاته من الوعي علينا أن نتقبل كذلك أن عدم نجاح بعض الترجمات الجديدة في تحقيق رغبة التجاوز أو السعي للتطور لا يلغي أبداً منطقية القياس وصحته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(2)

وظائف هوامش الترجمة الأدبية

على الرغم من حالة التوجس – إن لم تكن الكراهية أحياناً – التي تعتري بعض النقاد – والمترجمين كذلك – لكل ما قد يمثل نوعاً من الإضافة على النص الأدبي المترجم، ورفضهم لكل أشكال الزيادة والحشو التي تأتي على حساب بنية النص الأصلي؛ حيث تُقيّم قدرة المترجم على فهم النص في بعض الأحيان ودرجة الوعي به، وحسن صياغته له، ومعيار تمكنه من اللغتين وامتلاكه الفني والثقافي لهما نتيجة لعدم لجوئه أصلاً إلى مثل هذه الشروح، أو لقدرته على تذويبها في بنية النص دون اللجوء لهذه الهوامش والحواشي، وعلى الرغم مما نلمسه من رغبة لدى بعض النقاد والمترجمين في المطالبة بنص أدبي مترجم ترجمة فنية، أكثر من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المطالبة بنص محقق تحقيقاً علمياً أو تاريخياً، وعلى الرغم من إيمان بعضهم بأن جهد التهميش والتحقيق والتوثيق مسألة غير واجبة عند ترجمة النص الأدبي ..، نقول على الرغم من كل تلك المبررات والحيثيات فإن هذا التوجس أو ذلك الرفض يظلان مجرد رؤية نقدية تقليدية الطابع برغم إطارها الموضوعي في حقل الترجمة؛ ذلك أننا قد نجد - في المقابل - بعض النصوص الأدبية أو الفنية ستفرض على المترجم ضرورة التدخل في بعض مواضعها فرضاً، أو قد نجد بعض الثقافات تفرض حاجتها المعرفية على المترجم لكي يوثق خلفيات بعض ما ورد بالنص من أسماء أو أحداث أو أماكن، ثم توضيح دلالات هذه الإشارات بجوار توثيقها المرجعي. لاسيما تلك الثقافات التي لم يتعود القارئ أو المتلقي بها على التعامل مع الموسوعات المتخصصة، أو تلك الثقافات التي مازالت تفتقر بعد إلى وجود مثل هذه الموسوعات أصلاً.

وقد يكون ذلك التدخل لصالح سلامة النص واكتماله عند نقله من بيئته الأصلية إلى بيئة لغوية وثقافية أخرى من ناحية، ولصالح الوظائف المرجو تحقيقها من هذا النص في البيئة الجديدة من ناحية ثانية. عندئذٍ قد لا يتوفر أمام المترجم من بديل موضوعي سوى أن يستخدم هذه الوسيلة المنهجية لضمان صحة نقل النص، وضمان تقديمه على أفضل درجة مطلوبة وممكنة من التطابق، فإن لم يكن فالتماثل ثم التكافؤ. بل ربما يُنتقد المُترجم إن لم يفعل ذلك، ويعاب عليه إن لم يتدخل لتدوين هامش، أو إثبات حاشية حول النص. وقد يدان إدانة موضوعية وفنية لإهماله خلفية مرجعية موثقة تتطلبها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ترجمة النص. وقد تتهم عندئذ ترجمته الأدبية بعدم الجودة، أو بافتقادها الدقة المنهجية، أو عدم صلاحيتها للتداول، ومن ثم ستؤكد فشلها، وفقدها لكينونتها ومبرر وجودها.

ويبدو أن أغلب المترجمين المتخصصين وذوي الخبرة حينما تدفعهم طبيعة النصوص الأدبية ذاتها إلى ضرورة التدخل في النص، أو حين تفرض عليهم احتياجات النص – الموضوعية أو الفنية – أو احتياجات البيئة الثقافية المستقبلة ذلك التدخل الموضوعي، فإنهم يفضلون استخدام هوامش النص بوصفها وسيلة منهجية، وذلك لأسباب عدة متكاملة؛ ربما كان أولها أن هذه الهوامش وسيلة موضوعية مشروعة تمكنهم من تقديم تفسيرهم ورؤيتهم المميزة والمتفردة للنص، وتمكنهم من إيضاح ما يحمله هذا النص من خبايا عبر ثنايا شفراته اللغوية والبلاغية، وعبر مضامينه الاجتماعية والأخلاقية والثقافية والحضارية، كما أنها تتيح لهم فرصة التعليق الموضوعي – والنقدي أحياناً – على كثير من القضايا الفنية والمناحي الذوقية والجمالية. مثلما تتيح فرصة تفسير الاختلافات اللغوية، وتحليل الفروق الثقافية والحضارية والتاريخية التي يمكن أن تقوم بين بيئة النص الأصلي وبيئة النص المترجم.

وثاني هذه الأسباب أن هذه الهوامش وما قد تقدمه من وظائف تختص بعمليات شرح وتفسير وإضاءة لبعض مستغلقات النص الأدبي، وما تقدمه من تفسير للتحولات اللغوية، أو الإبانة المرجعية تاريخية كانت أم أسطورية ودينية، وما قد تحققه للنص المترجم من درجة مطلوبة من التكافؤ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثقافي والفني بينه وبين النص الأصلي، فهي تحقق للمترجم كل تلك الخدمات والوظائف الفنية والموضوعية بطريقة حرة نسبياً، وبدون أن تتعارض استعانته بهذه الهوامش المتنوعة مع جسد النص؛ حيث إن هذه الهوامش تدرج وتقدم للمتلقي في إطار الهامش المنفرد في موقعه عن البنية اللغوية النهائية التي ارتضاها المترجم للنص في صياغته اللغوية الجديدة. كما أن هذه الهوامش رغم استقلالها الموضعي عن المتن فهي مرتبطة ومتعلقة دوماً بهذا المتن الذي وضعت له، حيث إنها لا تمثل أي دلالة فنية حينما تعزل عن النص. ولذلك يجد المترجم بغيته في الهوامش التي تحقق له هذه الحالة المريحة من الارتباط الموضوعي بالنص الأدبي والانفصال الظاهري عن جسده. لذا فالهوامش يمكن أن تقوم بكثير من هذه الوظائف وهي أبعد ما تكون عن إحداث أي نوع من الزيادة والترهل اللغوي على هذا المتن، أو التدخل المباشر في تكوينه. وفوق ذلك فهي لا تحدث أي إعاقة فنية لعملية التواصل والتلقي؛ حيث يستطيع المتلقي للعمل أن يتجاهل كل هذه الهوامش إن أراد ذلك.

ومن الوظائف الرئيسية التي يمكن أن تقوم بها هذه الهوامش أنها قد تبين لنا عن منهج الترجمة الذي ينتهجه المترجم، وتمكننا من مقارنة منهجه في الترجمة بمناهج غيره من المترجمين الذين قاموا بترجمة النص ذاته في اللغة نفسها. كما أنها تبين لنا مقدار التزامه بهذا المنهج طوال عملية الترجمة والنقل، وهي تكشف لنا عن مقدار وعي المترجم بالنص الأدبي في زواياه المختلفة، وطريقة معالجته له عبر هذا المنهج. بل هي فوق ذلك كله قد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تكشف لنا في أحيان كثيرة عن المنهج النقدي الذي يلتزم بـه المـترجم وينطلـق منه، لاسيما حين يكون هذا المُترجم في الأصـل نـاقداً أدبيـاً ويمـارس وظـائف النقد على الشكل الأدبي ذاتـه الذي يترجم منه هذا النص أو ذاك[1].

---

(1) سبق للباحث أن تناول أثر المنهج النقدي الذي يلـتزم بـه النـاقد/المـترجم أو النظريـة النقدية التي يعتنقها على رؤيته لحقل الترجمة الأدبية وآليات العمـل بـهذا الحقـل، والتأثير الديناميكي القائم بينهما، وكيف أن هذا المنهج النقدي قـد يحكـم كثـيراً مـن آليات الترجمة لديه، من أول عملية الاختيـار لكـاتب مـا أو لنـص دون آخـر، مـروراً بالمقدمات النقدية التي يقدم بها ترجمتـه لهـذا النـص أو ذاك، ووصـولاً إلى جماليـات الترجمـة علـى نحـو النمـط اللغـوي الـذي يرتضيـه. وقـد أكـدت تلـك الدراسـة أن الناقد/المترجم حينما يقدم على ترجمة نص أدبي ما فإن ترجمته لهذا النص لا تنفصل كلياً عن نشاطه النقدي؛ بمعنى أن الناقد/المـترجم يتعـامل مـع النـص المـترجم تعـاملاً منهجياً لا يحرم بصورة أو بأخرى من رؤية نقدية شبه متكاملة، وإن جاءت بدرجات متفاوتة. وقد أكدت تلك الدراسة على أن هذه الرؤية النقدية الخفية أو المضمـرة والـتي قد تنم عنها بعض أبعـاد العمـل المـترجم، أو تظـهر عنـد تحليـل النـص، هـي رؤيـة يفترض أنها تتسق في الغالب مع النظرية النقدية الكلية أو المنهج النقـدي العـام الـذي ينطلق منه هذا النـاقد ويحكـم آليـات ومفـاهيم نقـده التطبيقـي، لاسـيما حـين يكـون الجنس الأدبي الذي يتعامل معه هذا الناقد/المترجم في النشاطين – النقد والترجمـة – واحداً. وكان الشكل المسرحي هو الجنس الأدبي الذي تخيرتـه الدراسة كنمـوذج تطبيقـي، عبر مجمل جهود عبد القادر القط في الترجمة إلى العربية عن المسرح العالمي. وقد أظـهرت تلك الدراسة عبر جانبها التطبيقي مجمـوع الأطـر الـتي يمكـن مـن خلالهـا قيـاس أو إثبات مدى توافق رؤية الناقد ووعيه النقدي عند تعامله كمترجم مـع نـص أدبـي مـا، بما يحقق له ولعملـه المـترجم في النهايـة التمـيز والخصوصيـة عنـد مقارنـة ترجمتـه بالترجمات الأخرى للمزيد راجع: محمد مدنـي: النقـد وترجمـة النـص المسـرحي، دراسة في تأثير المنهج النقدي على ترجمة النص المسرحي، دار الهدى، المنيا، 2001م.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا كانت هذه الوسيلة المنهجية تكشف لنا في أحد جوانبها عن طبيعة اهتمامات المترجم، وعن جانب من أيديولوجيته المضمرة، وقناعاته الفكرية، ونوعية الموضوعات والقضايا التي تشغله عند تعامله مع النص الأدبي الذي تخيره للترجمة، كما أنها قد تكشف عن منهجه في الترجمة من ناحية، أو منهجه في النقد الأدبي من ناحية أخرى، فإنها تكشف لنا - بجوار ذلك كله - عن نوعية الأطر المعرفية والمفاهيم الإدراكية التي ينطلق منها المترجم نحو هذا النص أو ذاك، وقد تنم عن مدى إلمامه بالمعطيات الجمالية والثقافية والمعرفية للغتين - المترجم عنها والمترجم إليها - بما يحقق للترجمة في النهاية ما يمكن تسميته بصحة وثراء التوصيل.

بقدر ما تبين لنا هذه الوسيلة المنهجية كذلك عن طبيعة توجهات المترجم الثقافية والفنية، وعن بعض ما يقصده من وراء هذه الشروح والهوامش التي يلحقها بالنص. وقد توحي إلينا عبر تحليلها النقدي بطبيعة الخطاب الأدبي الذي يرغب المترجم في تقديمه لثقافته حين ينقل لها نصاً بعينه تم اختياره عن قصد ووعي.

وقد تكشف لنا بعض تفاصيل هذه الهوامش - من طرف جانبي - عن دوافع المترجم الفنية نحو نقل شكل أدبي بعينه أو عمل فني بذاته؛ مثلما كان الأمر مع كثير من النصوص المسرحية التي ترجمت في العالم العربي في القرنين المنصرمين، والتي جاءت في أغلبها بغرض إمداد الثقافة العربية وتغذيتها بهذا اللون الأدبي، الذي لم تكن قد نهلت عنه هذه الثقافة من قبل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فضلاً عما تحققه هذه الحواشي - المرجعية منها بخاصة - من تميز وجودة علمية لتلك الترجمة إذا ما قورنت بغيرها من الترجمات الأخرى التي صدرت للنص ذاته في اللغة ذاتها، لكنها لم تتضمن مثل هذه الحواشي.

تبقى لنا واحدة من المهام التي تقوم بها هذه الهوامش، وهي من الأهمية بالقدر الذي يدفع المترجمين إلى التمسك بها وتفضيلها، لأنها من المهام التي تتداخل مع وظيفة النص الأدبي مباشرة؛ حيث لا تكتفي هذه الهوامش والتعليقات بمساعدة مترجم النص الأدبي على تحقيق حالة التقارب المرجوة بين المتلقي الجديد وما يقصده المؤلف الأصلي فقط، بل ربما حققت ما هو أبعد من ذلك حينما تنجح في الكشف عن بعض ما يرمي إليه هذا المؤلف عبر النص من مغزى Significance، وحينما تنجح في تحقيق أكبر قدر من التأثير الفني، وهو الهدف الذي يفترض أن المؤلف - وبالتالي المترجم - يعتزم إحداثه في نفس متلقي النص.

إن كل هذه المهام المركبة قد لا يتحقق تمامها من نشاط الترجمة الأدبية بمجرد إتمام الصياغة اللغوية التي يرتضيها الناقل لمتن النص المنقول فقط، وإن كانت هذه الصياغة هي الجزء الأكبر والأساس لكل عمليات الترجمة، إنما تظل الهوامش والحواشي المدرجة من قبل المترجم حول النص تحمل على عاتقها قدراً كبيراً من هذه المهام التي ذكرت، وغيرها من المهام التي لم تذكر وإن لم تقل أهميتها، بما لا يدع مجالاً لتجاهلها، وبما لا يسمح لنا كنقاد أن نتغافل عن دراسة هذه الحواشي عند تعاملنا مع النص الأدبي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المترجم. وبما لا يمنحنا الحق – في الوقت ذاته – في عزلها عن سياق النص المترجم، ولا في عزلها عن موقعها في البناء الفني للنص، وعن علاقتها بمكونات هذا البناء من لغة سرد أو حوار، أو حدث، أو شخصية، أو تفعيلة أو معني شعري ..، وفقاً لطبيعة بناء كل عمل أدبي. فإن حدث مثل ذلك العزل تصبح كل هذه الحواشي عندئذٍ لا قيمة لها على الإطلاق.

والهوامش في تلك المهام تختلف تماماً عن وظائف المقدمة التي يكتبها المترجم، فالهوامش متابعة داخلية حية مع متن الترجمة في كل ما يثيره النص الأصلي في سياقاته المختلفة، بينما تأتي المقدمة كرؤية تجريدية شاملة وعريضة لكل قضايا النص التي واجهها المترجم، ورؤيته لعموم النص وطبيعته، ومكانته الفنية والتاريخية..، وغير ذلك من قضايا كلية.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(3)

هوامش الترجمة
إشكاليات الحرية والخطاب

تطالب الترجمة الأدبية المشتغلين بها بمجموعة من القواعد والشروط الأساسية يجب الالتزام بها عند التصدي لترجمة أي نص أدبي، لعل من أهمها أن تأتي الترجمة عن اللغة الأصلية، وأن يحترز المترجم من كل ما قد يؤدي إلى تحوير النص، وتحاشي كل ما قد يعمل على تغيير صورته، وغير ذلك من شروط مألوفة في هذا الحقل تهدف جميعها الحفاظ على صورة العمل الفني. لكن أغلب هذه المطالب والشروط في واقع الأمر – ومع الالتزام بها قدر المستطاع – لن تنفي حقيقة أن ترجمة أي نص أدبي مهما جاهد صاحبها لكي يكون أميناً وملتزماً في ترجمته، فإنها لن تأتي متطابقة تمام التطابق مع النص الأصلي، إذ لابد أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يخصب النص المترجم من ثقافة المترجم، ومن فكره، ووعيه، وأن يحمل شيئاً ولو ضئيلاً من رؤيته الفنية. كما أنه سيحمل قدراً كبيراً من خصائصه اللغوية والأسلوبية وصوره البلاغية التي استقاها المترجم بدوره من تراث ثقافته الأم أولاً، التي ستمثل بالضرورة قدراً كبيراً من ذخيرته التي يعتمد عليها في صياغة النص المستهدف نقله. وإذا اعتبرنا المترجم مفسراً بالضرورة فلابد أن (المفسر يعطي النص من ثقافته، ولابد أن يأخذ العطاء شكل الكشف أو أن نشعر بوطأة الكلمات)[1] وفي ذلك يتفاوت المترجمون وفق قدراتهم، ووفق ما هو متاح لهم من خيارات تقدمها لغتهم الأم وتراثها الأدبي.

وقد كثرت الآراء وتفاوتت المذاهب حول شروط الترجمة الأدبية وقضاياها عبر تاريخها الممتد إلى ما يربو عن ألفي سنة[2] وتناولت ضمن ما تناولته من أفكار وقضايا مدى حرية المترجم في التصرف في النص الذي يترجمه، وطبيعة التزامه تجاه هذا النص، هل هو مُقيد وملزم؟ أم هو التزام ضمني؟ وما هي حدود مسئولية المترجم ومستويات التزامه الفني والمنهجي عند صياغته للنص المنقول؟ هل هو التزام إلى حد التطابق وإن ندر حدوثه؟ أم مجرد البحث عن صياغة فنية تبتغي حد التماثل أو التكافؤ والتقارب؟ ثم

---

(1) د.مصطفى ناصف: اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة ، الكويت، العدد 139، يناير 1995، ص75.

(2) See: George Steiner: After Babel , Oxford University Press, London, 1975, pp1238-239.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

علاقة تلك الصياغة ومستوياتها بشكل الترجمة؛ هل تنتج لنا ترجمة حرفية؟ أم مجرد ترجمة الأفكار والمضمون بتصرف؟ أم هي امتزاج بين المضمون والألفاظ والصياغات المكونة له؟ وهل هي ترجمة تفي بكل خصائص النص الأصلي "الأجنبي" وعناصره اللغوية والبلاغية والجمالية؟ أم هي ترجمة تبحث عن "روح النص"؟ بما قد يتطلب التخلي عن صياغة النص الأصلي، والبحث عن صياغة مناسبة، ذات خصائص شكلية تتوافق والبيئة الجديدة التي يستنبت في تراثها الأدبي هذا النص بفعل الترجمة؟.

ثم ما هي حدود العلاقة الأدبية المفترض قيامها بين نص المؤلف ونص المترجم من ناحية، والقارئ من ناحية ثانية؟ بمعنى هل ينقل المترجمُ عالمَ الأديب الذي يترجم له إلى القارئ في البيئة الجديدة؟ أم أنه ينقل هذا القارئ عبر ترجمة النص إلى عالم وثقافة المؤلف الأصلي؟ راغباً بذلك في أن يكون القارئ الجديد على قدر كبير من المساواة الفنية مع قارئ النص في بيئته الأصلية، لاسيما مع نصوص الأدب العالمي. فما الذي يضمن لنا أن تكون التفاصيل الفنية والجمالية والثقافية لعالم شكسبير الذي يقرأ في ثقافته الإنجليزية ليست مختلفة كثيراً عنها في الثقافة العربية؟ وما الذي يضمن ألا يختلف شكسبير المقروء في الثقافة الفرنسية، عن شكسبير المقدم في الثقافة الألمانية أو الصينية..وهكذا؟.

إن هذا الزعم لا يعني استحالة وقوع بعض التغيرات في النص الأدبي في حالة ترجمته بين اللغات المختلفة، ولكننا نقصد ألا تقع التغيرات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بما يخرج الخطاب الأدبي والثقافي عن محيطه الأصلي ليدخله في محيط أدبي أو ثقافي آخر تحت دعوى تعريبه أو فرنسته ..

لقد تمخضت كثير من هذه الأسئلة وغيرها عبر تاريخ تطور الفكر الترجمي وعلاقته بتطور الفكر اللغوي من ناحية، والدراسات الأدبية والنقدية والدراسات الأدبية المقارنة من ناحية ثانية، والدراسات الثقافية من ناحية ثالثة. ونتج عنها مجموعة من القضايا المهمة التي ستظل - نظراً لحيويتها وفعاليتها - تشغل حيزاً كبيراً في حقل الترجمة عبر علاقاته بهذه السلسلة من الحقول بمجالاتها ودراساتها المختلفة. وقد يبدو ذلك في تصوري على العكس تماماً ما ذهب إليه "جورج شتاينر" في كتابه (بعد بابل)، حين ظن أن الأفكار الحيوية الأصيلة التي طرحت حول الترجمة ظلت محدودة ومكررة عبر تاريخها الطويل[3]، وهو ظن لا يعكس حقيقة التطور الذي لحق بالدراسات الترجمية في الآونة الأخيرة، ولا يعطي مساحة من الحدس المنهجي المأمول لما ينتظر هذا الحقل المعرفي من متغيرات، لاسيما في ظل التغيرات المتسارعة في حقول العلوم الإنسانية والتداخلات القائمة والمرتقبة فيما بينها مشتركة من ناحية ،ثم بين هذه العلوم والتقنيات التكنولوجية الزاهرة من ناحية ثانية. فعلى مستوى الفكر اللغوي والترجمة برزت قضايا مثل علاقة التطابق بين مكونات النص المنقول منه والنص المترجم ومجالات وأنواع الترجمة من منطلق الاستخدام اللغوي، ووحدة الشكل والمضمون في

(3) See George Steiner op.cit,p138.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النص، ثم وحدة المضامين في اللغات المختلفة مع اختلاف الشكل وفقاً لمقتضيات البيئة اللغوية، واللغة بوصفها انعكاساً للروح الجماعية والروح الفردية، ثم استخدام عناصر اللغة كأدوات للتعبير الفني، واختلاف اللغات من حيث إمكانات اللفظ التعبيرية والدلالية..[4].

أما بالنسبة لحقول الدراسات الأدبية، والنقدية، والأدب المقارن، فلم تتقلص متشابكات الترجمة الأدبية مع هذه الحقول، ولم تتضاءل مشكلاتها، بل على العكس من ذلك تماماً، حيث تفجرت القضايا المشتركة وازدادت تشابكاً، لما بين هذه الحقول أصلاً من تداخل ووشائج، ليس بسبب طبيعة المادة الواحدة التي تتعامل معها هذه المجالات – وهي مادة الأدب – فقط، بل بسبب الروابط الموضوعية وطبيعة التعامل المنهجي القائم بين هذه الحقول على السواء. ناهيك عما تضيفه الترجمة أحياناً على هذه الحقول من تداخلات، وتشترك معها فيها. كما أن الترجمة الأدبية مثلها مثل الدراسات النقدية والأدبية تتنوع ما بين ترجمات تتسم بالجودة وترجمات مملة. وقد سبق أن ناقشت بعض العلاقات المتشابكة التي يمكن تحليلها بين النقد الأدبي والترجمة الأدبية في دراسة سابقة[5].

---

(4) للمزيد من التفاصيل حول قضايا الفكر اللغوي والفكر الترجمي راجع:
يوجين .ا.نـايدا . نحو علم الترجمة ، ترجمة ماجد النجار ، مطبوعات وزارة الإعلام، بغداد ،1976م، ص 150–159. وكذلك راجع :د.فوزي عطية محمد: علم الترجمة ، مدخل لغوي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، د.ت ، ص 49–55.

(5) سبق لنا الإشارة إلى ذلك في الصفحات السابقة. راجع الحديث حول "النقد وترجمة النص المسرحي".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا كانت الترجمة هي العملة الرئيسة لتحقيق المبادلات الأدبية بين الثقافات المختلفة، وهي عملية مركزية في تشكيل أدب عالمي معتمد، لذا فهي في جوهر الأدب المقارن. ومن ثم يصبح الحديث عن علاقة الترجمة الأدبية بدراسات الأدب بعامة والأدب المقارن بخاصة أشبه بالحديث عن العلاقات الثنائية في إطار من الرباط المقدس! ، ويكفينا هنا أن نقر بحقيقة واقعة مؤداها أن أي نتاج من الأدب العام، في أي ثقافة ما، لا يمكن أن يتحقق له التحقق والذيوع والانتشار بين الآداب والثقافات الأخرى ما لم يترجم، أو ينقل عبر وسائط النقل المتعددة، وعلى رأس هذه الوسائط تأتي الترجمة الأدبية بلا منازع. كما أن أغلب حالات التخصيب والتلقيح الأدبي والثقافي في الآداب العامة تتم عن طريق الترجمة بوصفها الوسيط الشرعي والمنهجي لهذا التخصيب. وقد تستغرق الترجمة كي تحقق هذه النتيجة وقتاً طويلاً، مثلما أن استقبال الأدب الأجنبي عبر الترجمة – التي تمثل شطراً كبيراً من النشاطات الثقافية – قد يأخذ وقتاً أطول مما يحتاجه الأدب القومي بالطبع. يضاف إلى ذلك السيطرة المكانية والدفاعات التي تفرزها الثقافات الأهلية ضد المنتجات الأجنبية، بما فيها المنتج الثقافي[6].

(6) حول دور الترجمة ووظائفها الثقافية في الأدب المقارن انظر: هنري هـ .ريماك : مرة ثانية :الأدب المقارن في مفترق الطرق ، تقديم وترجمة وقراءة نقدية محمد مدني، أبو هلال للطباعة والنشر، المنيا ، 1999م. وكذلك انظر :

M M. Enani On Translating Arabic A Cultural approach pp191-225.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي ظني أن بشائر التخصيب الأدبي والثقافي الذي يتم بين الثقافات عبر نشاط الترجمة يبدأ مبكراً، ربما مع اختيار المترجم للنص الذي يعكف على ترجمته، وقد تبدأ البشائر حال كونه متلقياً أو قارئاً للنص في المراحل الأولى للترجمة، وساعياً إلى تفهم كافة أبعاده الفنية، وسياقاته الاجتماعية والثقافية، لكن هذه البشائر لن تظهر بصورة جلية وصالحة للدرس والتحليل إلا مع كونه صائغاً لهذا النص، وناقلاً له إلى لغة جديدة وثقافة جديدة. حيث تتجسد ملامح التداخل الثقافي بوضوح على بنية بعض النصوص المترجمة، وعلى موضوعاتها وقضاياها، بالقدر الذي يسمح للباحثين بفحص متخصص للأبنية اللغوية التي صيغت بها هذه النصوص، ودراسة الأطر الفنية والثقافية لهذه النصوص، ويمكنهم من تحليلها تحليلاً منهجياً[7]. وهذا كله

---

(7) تحدث حالات "التخصيب الأدبي والثقافي" كنتاج طبيعي لعملية الترجمة الأدبية الفاعلة، ومن الدراسات الشيقة التي تناولت بعض الأطر المختلفة التي تدخل في مجريات عملية الترجمة الأدبية بين الآداب واللغات العالمية وتؤيد ما نزعم به هنا، تلك الدراسة التي نشرت في الكتاب السنوي للأدب العام والمقارن تحت عنوان :

The Self in Translation: British Orientalists, American Transcendentalists, and Sanskrit Scriptures in English.

By: Steven Adisasmito Smith. Yearbook of Comparative and general Literature, Volume 47 1999 pp167-177

كذلك راجع واحدة من الدراسات التي تعالج قضية الترجمة من منظور المؤثرات النقدية /الثقافية وعنوانها:

Tim Parks. Translating Style: The English Modernists and Their Italian Translations Cassell, London and Washington. 1998

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لن يتم سوى بعد انتهاء الترجمة، حيث يظهر النص في صناعته الجديدة جلياً مكتملاً، صالحاً للفهم الأدبي، وتتنافس فيه اللغة والأفكار حين يصبحان سوياً نسقاً متكاملاً صحيحاً، يقف على قدميه، ويقدر على الدفاع عن ذاته، ويؤكد قابليته للتوافق والتراث الجديد الذي يستعد للانتماء إليه، ثم التأثير فيه[8].

وقد تزداد المسألة تشابكاً، وتصبح أكثر تعقيداً وتداخلاً حينما يكون المترجم أديباً مبدعاً أو ناقداً في الأصل[9]؛ حيث إن رؤيته الإبداعية أو مذهبه

---

(8) من الدراسات التي تؤكد مثل هذه التأثيرات الناتجة عن الترجمة والتلقي ومراحل وقوعها راجع :

Tawfiq Yosef: The reception and translation of American literature in the Arab world. Yearbook of Comparative and general Literature, Volume 48.2000. pp74-83.

(9) سبق للباحث أن عارض ذلك التصور التقليدي الذي يرى أن كل نشاط ينتمي للترجمة الأدبية يجب أن يقيم بوصفه فعلاً إبداعياً خالصاً، أو إبداعاً من الدرجة الثانية، وبخاصة لدى المترجمين النقاد، وقدم تصوراً بديلاً لذلك (النقد وترجمة النص المسرحي، ص 43–52.) وذهابنا في الدراسة الحالية إلى أن النص المترجم سيحمل جزءً من فكر وثقافة وأسلوب مترجمه عند نقله لا يعني تأييدنا الضمني لفكرة الإبداع الخالص في نشاط الترجمة، بقدر ما هو تأكيد لما سبق أن طرحته دراستنا من قبل؛ فالمترجم – مهما تكن صفته الإبداعية أو النقدية بجوار اشتغاله بالترجمة – لا ينتج نصاً أدبياً من فراغ، أو من مجموع قراءاته الفنية المتنوعة والمتباينة، إنما عمله في الترجمة ما هو إلا شكل من أشكال إعادة الإنتاج لعمل ناضج مكتمل، أو إعادة صياغة لنتاج أدبي مكتمل ونص مبدع قائم بالفعل، ولكن في صورة لغوية مغايرة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأدبي ومنهجه النقدي – أو العاملين معاً أحياناً – سوف يمارسان تأثيراً عميقاً على طريقة قراءته للنص وتلقيه له، ثم على طريقة ترجمته وصياغته لهذا النص الذي اختاره بمعاييره الأدبية أو النقدية لفعل الترجمة، إذ يُنظر إلى المترجم بوصفه منتجاً لغوياً ومرسلاً جديداً لهذا النص المنتقى إلى البيئة الجديدة، التي قصد بوعي جمالي ونقدي أن يقدم لها هذا الخطاب الأدبي، وقد حمّله بعضاً من رؤاه الفنية وتصوراته الموضوعية. وقد يكون تقديم هذا الخطاب واحداً من أهم أهداف المترجم، الذي يضع دائماً نصب عينيه مجموعة من الأهداف – الذاتية والموضوعية – حين يعكف على ترجمة إي نص أدبي ساعياً إلى تحقيقها، وقد تتباين هذه الأهداف وتتعدد، لكنها لن تخرج موضوعياً في كل الأحوال عن مجمل الأهداف الموضوعية الثقافية والحضارية المرجوة من الترجمة الأدبية كما صنفها الباحثون والنقاد[10].

وإذا كانت الترجمة الأدبية عموماً خطاب فني وثقافي يسعى صاحبه إلى تحقيق التبادل الأدبي بين الثقافات المختلفة عن طريق قهر حواجز اللغة وتجاوز جدرانها، فيفترض بالتالي أن أغلب مكونات هذا الخطاب وأدواته بما فيها الهوامش الملحقة بمتن الترجمة تتأسس على هدي من هذا السعي، وتتناوب وظائفها بين الجمالي والموضوعي، لذا فهي تتراوح من الإيضاح

(10) حول هذه الأهداف راجع :

Susan Bassnett & McGuire: Translation Studies. Muthuen. London - New York, 1980.p.71.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والتفسير، والتأويل، إلى التعليق والتوثيق والمرجعية، وجميعها مخصصة لتحقيق التواصل بين النص الفني والبيئة الثقافية المستقبلة.

ولأن المترجم حينما يلجأ إلى هوامش الترجمة فهو يتحرر بدرجة ليست هينة من ضغوط متن النص الأصلي، الذي يقيده في كيفية نقل صياغاته الخاصة ومنطقه التعبيري، وطبيعة أفكاره، وقد يأسر سياق النص التاريخي مترجمه داخل حدود هذا المتن، فلا يملك معه فكاكاً. بينما تصبح الهوامش عندئذ بمثابة الإطار المعاصر للنص، ومع هذا الإطار يمكن للمترجم أن يتحرر من قيد التاريخ، ومن سطوة لغته التراثية، ومن عبء أحداثه. ومن خلال هذه الهوامش - بما تمنحه من حرية - يمكن أن يمرر المترجم ما يرغب في بثه لثقافته المعاصرة من رؤى معاصرة حول هذا النص.

بل إن المترجم قد يجد مع هذه الهوامش مساحة من الحرية ولو كانت هذه الهوامش مدرجة وقائمة أصلاً في الطبعة الأصلية التي ترجم عنها المترجم هذا النص الأدبي، بشرط ألا تكون هذه الهوامش تمثل جزءا من بنية النص الأصلي الذي كتبه المؤلف. ففي بعض النصوص الأدبية العتيقة أو النصوص المكتوبة بلغة مهجورة - على نحو ما أشرنا - يستطيب بعض المحققين والمحررين لهذه النصوص أن يلحقوها بأكبر كم من الهوامش التفسيرية والتوثيقية والنقدية أحياناً، وغالباً ما تكون هذه الهوامش ذي فائدة عظمى للمترجم ويستفيد منها كثيراً لكنه غير مطالب بإثباتها كما هي،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بل له الحق في التعامل معها على النحو الذي يفيد ترجمته، ويفيد الثقافة التي يقدم لها النص، وطريقة تلقيها له.

ويبدو على نحو ما تقدم أن حرية المترجم في التعامل مع هوامش الترجمة تكاد أن تكون حرية مطلقة .إلا أن هذه الحرية يجب أن تكون مقننة من قبل المترجم، فهو وحده القادر على تنظيم هذه الحرية في ضوء الخطاب الموجه إلى ثقافته وبني جلدته، وهدفه من وراء استخدامه لهذه الهوامش، وعليه أن يحرص على أن تكون الهوامش دائما في خدمة النص وتلقي القارئ له، وأن يضع في مخيلته تباينات القراء، من أول القارئ العادي غير المتخصص وصولاً إلى القارئ الموغل في التخصص.

في ضوء كل ما تقدم يجدر بنا أن نعيد النظر إلى هوامش النص المترجم، ونوليها قدراً من الاهتمام والتحليل النقدي، ذلك لما سوف تحمله من مفاتيح لها قيمتها وتأثيرها في فهم النص الأدبي عند نقله من ثقافة إلى أخرى، ومن زمن لآخر.وعلينا أن نتخلى عن نظرتنا التقليدية لها بوصفها تدخلاً شريراً ومكروها، أو فعلاً قبيحاً يرتكبه المترجم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دراسة هوامش الترجمة

(4)

يمكننا دراسة هوامش النص الأدبي المترجم من زوايا مختلفة وجوانب متنوعة، كما يمكننا أن نستخدم في تحليلها أكثر من منهج نقدي، ولكننا يجب أن نعي أنها ليست في ذلك مثل أي نص أدبي. فالهوامش لها من خصوصية التكوين البنائي مع تميز رسالتها بالمعلوماتية المباشرة في أغلب الأحيان، فضلاً عن انتمائها لمترجم النص لا لمؤلفه - بكل دلالات ومسؤوليات المترجم المنهجية لا الإبداعية - ما يجعلنا نميز بين خصوصيتها من حيث الطبيعة والوظيفة وتصورنا المألوف للنص الأدبي، وإن انتمت هذه الهوامش للنص انتماء الجزء للكل، أو ارتبطت به ارتباطاً موضوعياً. وإن استمدت وجودها الحقيقي في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النص من باب علاقتها العليّة به. فلا يمكننا أن نتخيل أبداً هوامشاً بدون نص تنتمي إليه. ولكننا كثيراً ما نجد نصاً بدون هوامش.

واختلاف هوامش الترجمة من حيث الطبيعة التي تشكلها والوظائف المنوطة بها عن النص الأدبي اختلاف يضفي عليها صعوبات ومشكلات مغايرة لمشكلات النص. وإن حملت بجوار مشكلاتها الخاصة بعضاً من مشكلات العمل الأدبي المترجم، حيث ستنعكس عليها رؤية المترجم وفهمه للنص، بقدر ما ستحمل هذه الهوامش كل مساوئ وحسنات تفسيره له، وملامح منهجه في الترجمة، بجوار أيديولوجيته التي غالباً ما ستجد لها نافذة صريحة ومفتوحة دائما في الهوامش.

إن طبيعة هوامش النص المترجم تتجسد في كونها قطعاً ذات بناء نثري، حتى وإن تخللها الشعر أو جاء بعضها شعراً أحياناً لسبب ما، فالأساس فيها أنها سردية البناء، وهي متباينة المشارب ومختلفة الأهداف تبعاً لحالة وجودها، وارتباطها بالمواضع التي تشير لها علامة وجودها أو رقمها المسلسل. وقد تحتوي هذه الهوامش أحياناً على بعض الألفاظ والتعبيرات الأجنبية التي تنتمي للنص الأصلي، أو لنص آخر غيره من اللغة نفسها، وقد تأتي هذه الألفاظ والتعبيرات الأجنبية مجاورة لما يطابقها أو يماثلها من ألفاظ وتعبيرات اللغة الجديدة التي ترجم إليها النص؛ بما يعني أن هذه الهوامش قد تلعب في بعض المواضع الوظيفة المعجمية أو القاموسية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدالة للغتين المستخدمتين وأسرارهما داخل العمل. وقد تحمل الهوامش في بعض مواضعها بيانات ومعلومات من مراجع تاريخية أو أدبية وفكرية، ومقتبسات من مؤلفات ونصوص أخرى .. ومن ثم فهي تتفاوت في مضامينها ما بين المعلوماتية الموثقة، والقاموسية الجافة، والتفسيرية الشارحة، والتأويلية المفرطة.

كما أن هذه الهوامش في حقيقة تكوينها أقرب ما تكون إلى النص الاستثنائي، أو النص الإضافي المنتسب إلى متن النص والمنفصل عنه في الوقت نفسه؛ ذلك لأنها نص جزئي وهامشي تفسيري أو مرجعي موثق يدونه المترجم، وهو مرتبط دوماً بمتن النص المُترجَم، ومتعلقٌ به تبعاً لما يثيره من مسائل عند نقله، أي أنها نص ملحق على متن النص المُترجَم، الذي يُفترض أن نقنع أنفسنا بقبوله – بصورة وهمية مؤقتة أثناء القراءة أو التلقي – على أنه مكتوبٌ من قبل المؤلف الأصلي، مثلما يجب أن نتعامل معه – في حالة القصدية والوعي النقدي – على أنه المعنى الذي قصده المؤلف، وقد جاء في صياغة لغوية أخرى يفترض مبدئياً أنها مطابقة للنص الأصلي.

ولأننا على وعي بأن هذا المتن "النص المترجم" في حقيقته ما هو إلا إعادة صياغة لغوية تقريبية للنص الأصلي حين نُقل إلى لغة غير لغته الأولى، فنحن ندرك، سواء أكانت هذه "الصياغة/الترجمة" متطابقة أم متماثلة أم متكافئة – بهذا الترتيب – مع النص الأصلي، أم لم تكن، فنحن ندرك في نهاية الأمر أنها منسوبة بالفعل وبالصورة التي صدرت بها إلى المترجم بوصفه الصائغ الجديد للنص. وربما تنتمي بعض هذه الهوامش إلى "مُراجع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النص" إن وجد، وقد يقدم النص في صورته النهائية دون إشارة إلى إضافات المراجع أو تعليقاته وملاحظاته الفنية واللغوية، إن كانت له وتعليقات، وهكذا قد ينسب الأمر برمته للمترجم!.

يضاف إلى تلك المعضلات الفنية والموضوعية أن هذه الهوامش تكاد تمثل "نصاً ثالثاً" موازياً ومتضامنا في اللغة والدلالة مع متن "النص المترجم" ومكملاً له، ومفسراً لما قد يستوجب التفسير من منظور المترجم – أو المراجع – عند نقل "النص الأصلي" من زاوية أخرى. ولا تتوقف تلك المسألة المركبة عند حد الصياغة اللغوية والشكلية للنص، لكنها ستعكس بالضرورة بعداً جمالياً وآخر ثقافياً، يجب أن يتحققا عبر هذه الصياغة ويتوافقا معها. وتلك جميعها أمور متداخلة، ولا تنفصل بحال من الأحوال عند تعاملنا النهائي مع متن النص المترجم ومع هوامشه.

نتيجة لذلك كله فإن هوامش الترجمة تثير قدراً كبيراً من القضايا اللغوية، والفنية، والنقدية، والأيديولوجية، والتاريخية، والثقافية، والمعرفية. لذا فإن الدراسة – المثلى في ظني – لهوامش النص الأدبي المترجم يجب أن تنبع أولاً وفقاً لطبيعتها وبنيتها في إطار النص، ووفقاً لوظائفها وأغراضها المتنوعة، وتبعاً للدور الموكول لها أن تلعبه في الإطار الكلي للنص. وهي أمور مرهونة كما سبقت الإشارة بتوظيف المترجم لها، وقدراته ومهاراته في تحقيق هذا التوظيف بمستوياته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبرغم كل ما يمكن أن يقال عن الترجمة الأدبية من أنها نشاط ثقافي معرفي يمثل استراتيجية كيفية مواجهة الفوارق في الثقافات المختلفة، أو محاولة التغلب على هذه الفوارق في مضمار اللغة والأدب، أو يقال إنها عملية تحويل لغوي تتمثل في إحلال مادة نص كتب بلغة ما بدلاً من مادة نص مكتوب بلغة أخرى، على أساس التطابق. أو القول بأنها عملية تفجير للأطر القائمة بين اللغات، وإقحام للآخر في الذات..برغم كل هذه الأقوال والمفاهيم تظل الترجمة الأدبية في أساسها شكلاً من أشكال التفسير والتأويل للنص الأدبي الأصلي[1].

---

(1) تتفق كثير من الدراسات المعاصرة التي تهتم بنظريات الترجمة على أن الترجمة الأدبية هي عملية تفسير للنص الأدبي، وأن ما يشكل جوهر الترجمة ليس كونها حركة دءوبة بين اللغات المختلفة، إنما كونها تأويلاً أو تفسيراً في المقام الأول، من هذه الدراسات في العربية راجع:

عبد السلام بنعبد العالي: الترجمة والميتافيزيقا، مجلة الكرمل العدد 17، 1985.

أسعد الحكيم: حقيقة الترجمة، مجلة الموقف الأدبي، عدد خاص بقضية الترجمة الأدبية، دمشق، عدد فبراير ومارس 1988م. جورج طرابيشي: الترجمة والأيديولوجيا المترجمة، مجلة الوحدة، الرباط – المغرب، العدد 62/61، 1989.

وقد قدم حسين الشيخ حمد في مقالة له بعنوان "الترجمة وخيانة النص – دراسة في نصوص مترجمة" تصوراً تنظيمياً لكيفية حدوث عملية الترجمة الأدبية عبر الوضعية اللغوية الأدبية الثقافية بين المترجم والنص المراد ترجمته .راجع مجلة الوحدة العدد نفسه ص119–120. بينما قدم د.محمد عناني تصوراً تفصيلياً لعلاقة الترجمة الأدبية بالتفسير في ضوء اللغة الأم راجع: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، ص218–236. وله كذلك بالإنجليزية

On Translating Arabic. A cultural Approach.pp191-224.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا كان النقد الأدبي بكل مناهجه ومفاهيمه ومقارباته يجب أن ينطلق من النص وينتهي إليه، وإن انغمست تحليلاته في محيطات شتى. وإذا كان من حق الناقد في تحليله للنصوص الأدبية أن ينتقي من المناهج ما يعينه على كشف خواص النص الفنية ومعانيه الإنسانية، بعيداً عن الأخذ بالقوالب الجاهزة والأحكام المسبقة، فإن ذلك في ظني يتوافق تماماً والتعامل مع هوامش النص المترجم، مع ضرورة تأكيدنا على أهمية الوعي بطبيعة هذه الهوامش ووظيفتها داخل النص الأدبي.

في ظل هذا التصور علينا أن ننظر إلى هوامش الترجمة على أنها جزء متمم من عملية التفسير الكلية، وعلينا أن نبحث في قدرة هذه الهوامش على تحقيق مهمتها التفسيرية بوصفها النص الملحق من المترجم لاستكمال تفسير وتوثيق ما لم يتمكن منه متن الترجمة.

ولأن التفسير مهمة أساسية من مهام النقد الأدبي، ووظيفة حيوية من وظائف الناقد تجاه النص الذي يتناوله بالنقد. كما أن التفسير في حقيقته مستويات متباينة من التعامل مع النص، فإنه يتحتم علينا أن نوضح الفارق بين المستويات المتباينة من أنماط التفسير التي يمكن أن يقدمها المترجم عبر هوامش الترجمة. لعل أول هذه المستويات وأبسطها التفسير الشارح الذي لا يمثل سوى مجرد شرح "To Explain" تبسيطي للفظ أو العبارة التي وردت في سياق النص. وهناك التفسير الموسع Paraphrase وفيه يهتم المترجم